

"المقدمة" التأصيل النظري بين الوعي الغربي والتراث العربي

Theoretical roots between Western consciousness and Arab heritage.

د/ نصيرة لكحل *

جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف (الجزائر) nassiralakehal18@yahoo.com

تاريخ الإرسال 2020/02/02 تاريخ القبول 2021/04/02 تاريخ النشر 2021/06/01

ملخص:

تعد المقدمة في العادة خطاب مساعد وتمهيدي إعدادي للمؤلف من خلال احتوائها على بعض الإشارات لإنارة ما قد يصعب فهمه على القارئ ، كما أن المقدمة تشير إلى بعض العناصر الأولية للعمل الروائي عند الكاتب من خلال مساهمتها في الإحاطة بالجنس الأدبي فهي تخبرنا بالتأكيد ما إذا كان المؤلف رواية أم غير ذلك مما يميزها بين الأجناس الأدبية؛ كما تساهم في تمحيص الوعي النقدي للكاتب من خلال رؤيته للكتابة عموماً ، وفي هذه الدراسة نعود بالمقدمة إلى تجلياتها النظرية العميقة بين الدراسات الغربية المؤسسة لها ، وبين الجذور العربية ، لتوضيح التأصيل النظري التام والكامل عنها .

الكلمات المفتاحية : المقدمة / خطاب / التأصيل النظري / الدراسات الغربية / الدراسات العربية .

Abstract:

The introduction is generally regarded as a useful and introductory speech to the author by containing a few references to clarify what may be difficult for the reader to understand, and the introduction refers to some elementary elements of the fictional work of the author. 'writer through his contribution to the surrounding literary genre because it tells us definitively whether the literary content is a novel or other, which distinguishes it between the literary genres; It also helps to scrutinize the critical consciousness of the writer through his view of writing in general, and the threshold of the introduction as parallel text renders the text around it and provides an illustration around it that the ordinary reader may find it difficult to always surround him because he gives the text a deliberative dimension. It works to influence the reader, thus forming what one might call an introductory charter; This indicates a particular intention in developing a tight strategy for reading and establishing a specific deliberative process by linking the act of writing and ensuring that the positive interaction between these elements represented in the text, the writer and the reader are agitated and in this study we return the introduction to its profound theoretical manifestations among the Western studies which established it. And between the Arab roots, to clarify the complete and complete theoretical foundations.

Keywords: The introduction, complete theoretical, Western studies, the Arab studies.

1. مقدمة:

لقد أظهرت الدراسات النقدية الغربية الحديثة أهمية للمقدمة، وانتقل اهتمام النقاد بها من مجرد ظاهرة نصية عابرة وعرضية إلى عدّها عتبة ذي قيمة ومكانة مهمّة، وسعوا إلى تناولها في دراستهم، هكذا أضحي للمقدمة موقعاً نصياً استقطب إليه العديد من الباحثين الذين خصّوا أبحاثهم لمختلف مستوياته، والسؤال المطروح هنا، ماهي المقدمة باعتبارها إجراء نصيا مهما؟ وكيف تم النظر إليها في الدراسات الغربية؟ والجذور العربية؟ للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها نحاول في هذه الدراسة الإمام بجميع الأمور النظرية المتعلقة بالمقدمة قديما وحديثا بالإضافة إلى مختلف العلاقات النصية المهمة التي تربط المقدمة بسياقها النصي.

2. المصطلح والمفهوم والدراسات

1.2. مفهوم المقدمة عند الغرب والعرب

يُعرف جيرار جنيت (Gérard Genette) "المقدمة": "بأنها كل نص تمهيدي يُكتب حول النص اللاحق أو النص السابق؛ وهو يقصد بالنص اللاحق والسابق متن الكتاب الذي إذا كان لاحقاً كانت المقدمة في البداية وإن كان سابقاً كانت المقدمة في النهاية"¹

ولا يخرج كلود دوشيه (Claude Duchets) في تحديده لمفهوم "المقدمة" عمّا جاء به جيرار جنيت (Gérard Genette) فهو ينطلق من تعريف موسّع، حيث بيّن أن مفهوم المقدمة يمكن أن يتم من خلال عناصر أخرى غير المقدمة لأن هذه الأخيرة قد تتوزع إلى إشارات ووثائق سابقة أو لاحقة في ظهورها.² و بالتالي ف "المقدمة" عنده هي كل أنواع النصوص التي تشكل خطاباً سابقاً أو لاحقاً لنص ما وهو يقصد بذلك أن المقدمة لا تعني أول مكتوب يكتبه كاتب ما؛ ويحيل إلى موقعها داخل فضاء الكتاب بمعنى أنها من آخر ما يُكتب من منظور زمن الكتابة ومن أول ما يُقدم على مستوى الفضاء أو في آخره إذا كانت ملحقة. و لعلّ من أهمّ الإشكالات التي طرحها هذا المفهوم الذي جاء به جيرار جنيت (Gérard Genette) وكلود دوشيه (Claude Duchets) هو الخلط بين العديد من المصطلحات: كالتوطئة، والديباجة والملخص، والتمهيد، والتقديم، والاستهلال، والفتحة، والقول الأمامي، والخاتمة، والمدخل، وكلّ هذه - أو بعضها - تدخل في إطار ما يعرف بـ "النص التمهيدي" عند جيرار جنيت (Gérard Genette)، وهو ما قصد به كلود دوشيه (Claude Duchets) الإشارات والوثائق السابقة أو اللاحقة.

مما يستدعي التمييز بين هذه المفاهيم حيث يحمل كل مفهوم منها خصوصية معينة، وهو ما أشارت إليه الباحثة المغربية السعدية الشاذلي من خلال ما جاء به جاك دريدا (Jacques Derrida) في كتابه "التشتيت" "la dissemination" في الفصل المعنون بخارج الكتاب "horis livre" في جدله حول المقدمات حين رأى أنه يجب تمييز "المقدمة" عن "المدخل" من خلال وجود اختلاف وظيفي جوهري بحيث أعدّ أن "المقدمة" تتميز عن "المدخل" بكون هذا الأخير هو خطاب له علاقات أكثر نسقية وأقل تاريخية وأقل

ظرفية بالنسبة للمؤلف؛ أما "المقدمة" فهي تقدم تصوراً عاماً وهي تتنامى من طبعة لأخرى كما اعتبرها أكثر شمولية وغير لازمة في الرواية و تخضع للظرفية في ظهورها.³

ويمكن أن نضيف في هذا السياق ما جاء به حميد لحميداني في طرحه للتناقض الذي وقع فيه جيران جنيت (Gérard Genette) - على حد رأيه - من تساؤله عن وجود المقدمة في النهاية من خلال موقعها في الفضاء النصي؛ حيث يرى أن المقدمة تحمل لفظياً مدلول الابتداء والشروع والقدام ولا تتضمن أبداً أي إشارة لفظية إلى الآخر أو الدليل أو النهاية؛ إذن فجعل جيران جنيت (Gérard Genette) مفهوم المقدمة مشتملاً على التذييل والخاتمة فيه تناقض واضح.

وهو يرى - حميد لحميداني - أن كل ما هو تذييل وخاتمة لا يمكن أن ينتمي إلى مفهوم المقدمة لأن مدلولاته مغايرة، فالتذييل عادةً ما يكتب بخلفية أن القارئ مطلع مسبقاً على نص الكتاب بينما تُكتب المقدمة بخلفية أن القارئ لم يطلع بعد على مضمون الكتاب بمعنى أن غايتها مختلفتان.⁴

الملاحظ أن مفهوم "المقدمة" في الدراسات العربية يتميز بالخلط والاضطراب، كان ذلك بسبب أخذ المفهوم من الدراسات الغربية كما هو؛ وهي ظاهرة ليست بالغريبة عن الثقافة العربية التي تعاني منها حتى الوقت الراهن فمثلاً يُعرف شعيب حليفي* المقدمة -وهو في ذلك شأنه شأن جيران جنيت (Gérard Genette) وكلود دوشيه (Claude Duchets) - بقوله: "إنّ المقدمة هي المكان الذي يشرح فيه المؤلف الهدف الذي اقترحه، والسبب الذي قاده إلى الكتابة وهي أيضاً مدخلاً للفهم والتفسير يلجأ إليها الكاتب كخطاب افتتاحي يمهّد به قصد تقديم معلومات حول النص الداخلي عن طريق التفسير ومنح تصور معين حول النص وما يتعلق به كظروف الإنتاج وغيرها".⁵

ولا يخرج تعريف عبد النبي ذاكر ل "المقدمة" عن إطار ما جاء به شعيب حليفي حيث يقول: "إنّ المقدمة تمهد للنص باعتبارها توضع في مستهل مؤلف ما و يصلح تقديمه للقارئ؛ ونظراً لكونها مدخلاً يقدم الموضوع و نصاً تمهيدياً أو إعدادياً وتفسيرياً يوضع في بداية المؤلف فلا يخرج عن كل ما يهيئ شخصاً ما إلى معرفة أو ممارسة شيء ما".⁶

وتعرّفها السعدية الشاذلي بقولها: "و المعلوم أن المقدمة ليست إلا جزءاً من نظام معرفي عام هو ما يمكن أن نصطلح عليه بالمكملات و نعني به كل ما يحيط بالنص من عناوين رئيسية أو فرعية و حواشي و هوامش وتمهيد ومقدمة (...)" و التي تلعب دوراً هاماً في تحديد نوعية القراءة و توجيهها⁷

يمكن القول بعد عرض هذه التعريفات المختلفة لمفهوم المقدمة في الدراسات الغربية والعربية هو أنها تتميز بطابع التعميم والخلط بينها - أي المقدمة - وبين المصطلحات التي يُعتقد أنها تكتسب الدلالة نفسها كالمدخل... إلخ، وهو ما يضع الباحث والدارس في هذا المجال أمام التباس حقيقي بين مختلف التعريفات السابقة.

ومن خلال ما سبق يمكن إعطاء المقدمة التعريف الآتي : بأنها عتبة نصية تقع بعد الإهداء، وقبل النص، وهي نص مجمل ومشحون جداً؛ لأنها عبارة عن وعاء معرفي وأيديولوجي يحتزن رؤية المؤلف و مواقفه؛ كما أنها ذات صلة وثيقة بالنص الذي تسبقه في الغالب الأعم، وهي ليست دائمة الحضور في المتن الروائي على وجه الخصوص.

2.2: المقدمة بين الدراسات الغربية والعربية

ظهرت المقدمة في التراث الغربي القديم مع ظهور الملاحم والكتابات الأولى؛ ويبدو ذلك من خلال متابعة جيرار جنيت (Gérard Genette) للآداب الغربية القديمة وتحديدًا بالفترة الممتدة من زمن الشاعر الإغريقي هوميروس (Homère) إلى زمن الشاعر رابليه (Rabelais)، حيث يرى أن السطور الأولى للنص كانت تؤدي وظيفة المقدمة؛ وكان البحث عن تصريحات الكاتب التي يعلن عبرها عن طبيعة مصنفه ومضمونه يقتضي النظر في بدايته بل وحتى نهايته.⁸ وبذلك فقد كانت تتضمن المقدمة بدرجات و أساليب متفاوتة خطاباً يعرض فيه الكاتب نواياه أو طريقته في تناول موضوعه كما أنه يعلن عبرها عن اسمه و عنوان مؤلفه.⁹

وبمقارنة جيرار جنيت (Gérard Genette) بين المؤلفات القديمة والحديثة يلاحظ أن المقدمة قديماً لا تثير إشكالاً كبيراً لكونها كانت توضع في السطور الأولى للنص وأحياناً في سطور الأخيرة، كما أن زمن كتابتها يماثل زمن كتابة النص نفسه وشكلها هو شكل النص نفسه ويتحدد مُرسلها في الكاتب الحقيقي أو المفترض ومتلقيها هو متلقي النص، أما المقدمة الحديثة فهي في نظر جيرار جنيت (Gérard Genette) تتميز بعدة مميزات أهمها:

* الجنس الأدبي ؛ فالنثر ليس هو النوع الوحيد والضروري لكتابة المقدمة ؛ فالبرغم من أنه يمثل النوع المهيمن في كتابتها إلا أنها يمكن أن تأتي شعراً.

* إن مكان ظهور المقدمة في رأيه ليس ثابتاً بعدما انفصلت المقدمة عن النص؛ إذ لا يمكن الاختيار بين أحد الموقعين فيكون مكانها قبل النص أو بعده بل يمكن لكاتب أن يحولها من مكان إلى آخر بعد كل طبعة.¹⁰

ويمكن القول بعد كل ما سبق إن جيرار جنيت (Gérard Genette) ينظر للمقدمة كنص لغوي مرتبط شكلياً بالنص وفي رؤيته لها لا يفرق بينها و بين الفاتحة النصية - في بعض وجوها - وهذا ما كان سائداً في القديم، ولكن هذا الشكل سرعان ما تلاشى وصارت المقدمة منفصلة عن النص - شكلياً - حتى وإن كانت في عمقها مرتبطة به، وظل هذا الشكل هو السائد والمهيمن في الزمن الحاضر.

لقد عُرفت المقدمة في التراث العربي منذ القديم، ولكنها كانت حاضرة بقوانين ووظائف تتفاوت من حيث الأهمية، ولكن المتفق عليه هو الوعي بأهميتها ووظائفها كان موجوداً لكن الكُتّاب لم يكونوا يطلقون على مقدمات كتبهم مصطلح المقدمة؛ بل ما ثبت عنهم في البداية هو استعمال مصطلح "الخطبة" للدلالة على المقدمة ويشير عبد الرزاق بلال إلى أن تحقق هذا الفهم للمقدمة عند القدامى قد احتاج مراحل تطور فيها شكلها من الافتتاح بالبسملة إلى اعتماد ما عُرف بفصل الخطاب إلى أن وصلوا إلى المقدمة التي كانت تعرف باسم الخطبة مما يفيد أن مصطلح المقدمة هو مصطلح لاحق في الثقافة العربية؛ وما تتضمنه المقدمة من إشارات

أخرى بعبارة أو لفظة كثر ترددها بين المؤلفين القدامى وهي قولهم أما بعد ... إلخ مما يحمل على القول بأن البسملة صارت عنصراً أساسياً من عناصر مقدمات الكتب.¹¹

و من ثمة بدت أهمية المقدمة تظهر جلياً من خلال حضورها المكثف في المؤلفات باعتبارها سنةً واجبةً وضرورة لها شروطها ومواصفاتها من خلال اضطلاعها بوظائف عدة أهمها : إضاءة التصور الفكري للكاتب وإعانة المتلقي على معرفة الجوانب الإيجابية في هذا التصور و الذي هو في نهاية الأمر متعلق بالكتابة، أو بقضية من قضاياها التي يعالجها النص، والعمل على إبرازها.¹²

3. أنواع المقدمة وعلاقتها:

1.3: أنواعها

تتعدد أنواع المقدمة بتعدد واختلاف طبيعة المقدمة ذاتها وسياق تأليفها وبتعدد الدارسات التي اهتمت بدراستها وتصنيفها؛ حيث نجد أنواعاً للمقدمة من حيث مُرسلها أو كاتبها وأنواعاً أخرى من حيث زمن ظهورها وأخرى من حيث شكلها:

يرى جيرار جنيت (Gérard Genette) أن موضوع مؤلف المقدمة موضوع معقد إلى حد ما؛ لأنّ أنواع المقدمة تختلف بحسب مؤلفيها، كما تتعدد بحسب طبقات النص الواحد الذي يعاد طبعه كل مرة بمقدمة قد تكون جديدة،¹³ كما أن الكتاب يمكن أن يضمّ في إحدى طبعاته أكثر من مقدمة كتبها أكثر من كاتب ومن ثمة يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من المقدمات من حيث كاتبها.

* المقدمة الذاتية:

وهي المقدمة التي يكتبها المؤلف بنفسه مقدماً بها عمله، وهو النوع الأكثر تداولاً حيث تحمل الاسم الصريح للمؤلف في آخر المقدمة أو تأتي بعض الإشارات الدالة عليه، وليس بالضرورة أن تلحق هذه المقدمة بالطبعة الأولى و لكنها بالإمكان أن تلحق بطبعات جديدة، ويمكن أن تجمع الرواية أكثر من مقدمة مع تلاحق طبعتها للمؤلف نفسه.

* المقدمة الغيرية: وهي التي يتكفل بكتابتها شخص آخر حول الرواية، وهذا الشخص إما أن يكون ناقداً متخصصاً ينجز بحثه حول الرواية فيتم إلحاقه بها أو جزء منه، أو يكون روائياً كتبها بطلب شخصي من المؤلف... إلخ .

* المقدمة المشتركة: وتكون على شكل حوار أو استجواب بين الروائي، أو صاحب العمل وشخص آخر قد يكون روائياً أو ناقداً أو مبدعاً على العموم ويكون موضوع هذا الحوار هو العمل في حد ذاته فيقدم خلاله الروائي بعض الإضاءات التي تنير سبيل المتلقي الذي يقرأ الرواية .¹⁴

* **المقدمة التخيلية:** وهي المقدمة التي يكتبها المؤلف باسم مستعار كأن يتكفل أحد شخوص العمل التخيلي خاصة بتوقيع المقدمة باسمه انطلاقاً من زاوية نظر محددة تابعة لمقصدية المؤلف، وبالتالي هي من تأليف هذا الأخير.¹⁵

وهناك أنواع المقدمة من حيث زمن ظهورها:

* **المقدمة الأصلية:**

وترتبط بصدور العمل في طبعته الأولى وانفتاحه في صيغة كتاب على فضاء التداول والقراءة وإذا كانت الوظيفة التمهيدية تُمارس على القراء بغرض خلق وضعية تداولية ملائمة لن تجد المقدمة مناسبة لمصاحبة النص أفضل من مناسبة صدوره في كتاب مطبوع لأول مرة؛ وبهذا الاعتبار فالمقدمة تُكتب بعد تحديد النص بغية تهيئة ظروف استقباله بالتالي تأخذ المقدمة المرتبطة بهذه المناسبة صيغة أصلية.

* **المقدمة اللاحقة:**

تأتي المقدمة اللاحقة بعد صدور العمل في طبعته الأولى يستدرك عبرها الكاتب غياب المقدمة الأصلية، فالمقدمة اللاحقة تنجز إذن تحديداً بمناسبة الطبعة الثانية التي يمكن أن تأتي بعد الأولى بمدة قصيرة.

* **المقدمة المتأخرة:**

وهي مرتبطة بالطبعة الأصلية المتأخرة لعمل ظلّ مخطوطاً لفترة طويلة، أو عرف نشرًا متدرجاً، أو لمجلد متأخر يرتبط بنشر الأعمال الكاملة أو المختارة لمؤلف ما.¹⁶

وهناك أنواع المقدمة من حيث جنسها الأدبي:

* **المقدمة النثرية:**

تأخذ المقدمة في الغالب صيغة شكلية مهيمنة تتمثل في خطاب نثري يحظى بتداولية واسعة على امتداد التاريخ ومن أهم الصيغ الشائعة في هذه المقدمة النثرية:

- **المقدمة الحوارية:** وهي التي تعتمد على الحوار يتعلق موضوعها بالرواية مثلاً ؛ أي أنها تتخذ من الحوار وسيلة للإجابة عن العديد من الأسئلة التي قد تعترض للمتلقي، وقد يكون الحوار بين المؤلف، وشخص آخر ككاتب أو ناقد أو شخصية خيالية... إلخ.¹⁷

- **مقدمة الرسالة:** وتكون المقدمة عبارة عن جواب لسؤال من أحد الكتّاب، أو النقاد إلى المؤلف.

* **المقدمة الشعرية:**

لقد شاع في المقدمة هو ظهورها في جنس النثر ولو كانت لكتاب غير نثري، والحق أن المقدمة الآن أصبحت لا تنقيد بجنس معين؛ بل اتخذت الشعر جنساً لها فكثر ما نجد في الدواوين الشعرية التي يحرص فيها أصحابها على أن تكون المقدمة من جنس المقدم له، ولقد تعدى ذلك الشعر إلى بعض الأعمال الروائية وهذا راجع إلى تمتع جنس الرواية بانفتاحها على كل الأجناس التعبيرية الأخرى.¹⁸

وبعد هذا العرض لأهم التصنيفات المختلفة للأنواع المقدمة . يمكن أن نشير إلى أن هذه الأنواع ليست مستقلة عن بعضها البعض، بمعنى يمكن أن تكون المقدمة نثرية وفي الوقت نفسه أصلية... إلخ .

2.3: المقدمة والعلاقات

إن البحث في العلاقة القائمة بين المقدمة والنص الروائي رهينٌ بالإجابة على مجموعة من الأسئلة الأساسية التي تطرح بشدة، ومن بينها: ما مدى تطابق نوايا الكاتب و آراؤه المعلن عنها في المقدمة مع ما سيأتي في النص الروائي؟ وإلى أي مدى يمكن أن تؤثر هذه الأخيرة في فهمنا له (أي النص) هل هي ضرورية أم يمكن الاستغناء عنها؟¹⁹

وللإجابة عن كل هذه الأسئلة يطرح هذا في الجانب الأول أهمية المقدمة باعتبارها خطاب توضيحي مصاحب للنص ومساعد على فهمه على الوجه المقصود أو المطلوب، والذي يتم تركيبه بواسطة عناصر مكثفة تشمل إشارات ودلالات متواصلة مع رغبات الكاتب وظروف النص ومقاصده وآليات القراءة ؛ وتكتسب المقدمة فرادتها من كونها تحيل على ذاتها وعلى النص في آن معا .²⁰

ومن جانب آخر بالرغم من أهمية المقدمة وقيمها إلا أن بعض الكتاب لا يستهلون رواياتهم بها وغياها لا يعني جهلاً بقيمتها أو فاعليتها بل تحكمه رؤى ومواقف محددة من بينها في هذه الحالة قدرة الكاتب على ترويح نصّه دون حاجة الاعتماد على المقدمة، وذلك بالاستناد إلى السلطة الرمزية للكاتب لدى المتلقين فحسب.²¹

وبالرغم من هذا الرأي الأخير يمكن القول إنّ المقدمة تعدّ نصّاً أساسياً من النصوص الموازية أو المساعدة للنص الأصلي، فهي تعلن عنه وتحدد مساره ؛ وبهذا الاعتبار فهي ذات مواصفات خاصة في البناء والوظيفة. وتكمن أهمية المقدمة أيضاً في الرواية من كونها لا تنفصل عنها ما دامت قد أنتجت حولها لتتصل بها اتصالاً سواء أكان مباشراً أو غير مباشرٍ عبر فاعلية التخيل.²²

إن عتبة المقدمة بوصفها نصّاً موازياً تجعل للنص محيطاً و تُقدم حوله إيضاحاً قد يتعسر على القارئ العادي الإحاطة به دائماً كما توفر للنص بعداً تداولياً؛ وتعمل على التأثير في القارئ مُشكّلةً بذلك ما يمكن تسميته بالميثاق التمهيدي ؛ وهذا ما يشير إلى مقصدية خاصة في رسم استراتيجية محكمة للقراءة و إقامة تداولية معينة من خلال ربط الصلة بين فعل الكتابة و ضمان تحريك التفاعل الإيجابي بين هاته العناصر المتمثلة في النص والكاتب و القارئ .²³

وبهذا فإن هذا التفاعل لا ينتج عنه توجيه القارئ بتفسيره لماذا أو كيف يجب عليه أن يقرأ ولكن ينتج عنه أيضاً تحديد نوعية القارئ لأن الكاتب غالباً ما تكون لديه فكرة عن القارئ الذي يتمنى الحصول عليه والذي يريد جذبه؛ فإذا حصل عليه تصبح المقدمة أداة مميزة للتواصل لأن الأطراف المشتركة فيه تكون متفاعلة ضمناً ولذلك يحرص الكاتب على إنجاز سياق خاص يستهدف التأثير عن طريق مقدمة مركزة، ومغرية بالمتن ومستقطبة لقارئ أو قراء لهم استعدادات مختلفة، وهو ما يتطلب كثيراً من المهارة في صياغة المقدمة.²⁴

يدعم هذا القول "محمد خرماش*" حيث يرى أن المقدمة عادةً ما تُوجه إلى نوع من القراء لهم استعدادات ومؤهلات خاصة تجعلهم قادرين على التعامل مع المقدمة ومع ما يُقدم لهم، وهم في رأيه تركيبة معقدة من المعطيات التاريخية والاجتماعية والثقافية، والتي لا بدّ للمُقدم أن يحسب حسابها في استشراف عملية التواصل الممكنة بين المتن وقرائه فيقيم خطته في الغالب على تنشيط الحوار المفترض بين أطراف العملية في سلاسة وإغراء لتقريب مستويات التقاطع و تشييد المعاني والمفاهيم المشتركة.²⁵

4. تحليل النتائج :

تتعدد وظائف المقدمة وتختلف بحسب تعدد كُتّابها واختلافهم ؛ كما أنها تتفاوت في وجودها - أي الوظائف- فكما يمكن لكتابتها الاستغناء عن أي واحدة منها يمكنه أيضاً إيرادها جميعاً و تتحدد أهم وظائف المقدمة في ما يلي :

- **الوظيفة الإخبارية :** وتعدّ هذه الوظيفة وظيفة مركزية ؛ إذ يخبر الكاتب من خلالها عن طبيعة الكتاب وظروف تحريره ومراحل تكوينه ، كما تتصل هذه الوظيفة بإعلان المؤلف عن المقصدية الدلالية لعمله وهذه طريقة مباشرة تقابلها أخرى غير مباشرة يلجأ إليها الكاتب للتعبير عن عميق شكره وامتنانه لكل من ساعده في إنجاز هذا العمل والإخبار عن الأشخاص و المؤسسات التي ساعدته في إخراجه .²⁶

- **الوظيفة التوجيهية:** تضطلع هذه الوظيفة بتوجيه القارئ من خلال إعطاء قيمة للنص، إلا أن ما يجب ملاحظته أنها لا تتناول الموضوع بقول الكاتب تقبلوا أسلوب... و غيرها من العبارات المماثلة بل توجه القارئ إلى قيمة الكتاب بإبراز أهمية موضوعه ؛ كالتعليق على العنوان من خلال عقد صلة تأويلية بين العمل و العنوان بكيفية تنعكس على طريقة القراءة من قبل القراء ، والتعليق على العنوان قد يستحضر بعض خلفيات العمل وظروف تحريره وهي في مجملها عناصر تأليفية مفيدة ليس فقط من خلال تبرير العنوان، بل هي أيضاً تهيئ شروط القراءة الجيدة للعمل بكامله غير أن هذه الوظيفة بقدر ما تعمل على توجيه فعل القراءة، بقدر ما تمثل دفاعاً استباقياً ضدّ كل نقد محتمل.²⁷ وهذه الوظيفة التوجيهية ليست وظيفةً مطلقةً تنطبق على كل المقدمات الروائية، وإنما تبقى واحدةً من بين الوظائف الأخرى المختلفة على اعتبار أن هذه الوظيفة تنتقل في بعض الأحيان من التوجيه إلى التحليل ولذلك يبقى توجيهها نسبياً و محصوراً.²⁸

- **الوظيفة التنظيمية:** تعمل هذه الوظيفة على إرشاد القارئ إلى النظام المعتمد في الكتاب، وهذه الوظيفة أكثر ارتباطاً بالأعمال النقدية منها إلى الأعمال التخيلية ، وتأتي لضمان قراءة جيدة للنص وذلك من خلال اقتراح طريقة معينة لقراءة متنه حيث تهدف إلى أن يُقرأ النص ويُقرأ جيداً لأن النص الذي لا يُقرأ مهدد بأن لا يصدر مرة أخرى. كما أن هذه الوظيفة يعمل الكاتب من خلالها على تعيين القراء الذين يرغب في وصول النص إليهم ويسعى في الوقت نفسه إلى تجنب نوع من القراء الذين لا يرغب فيهم سواءً تمّ التعبير عن ذلك صراحةً أو ضمناً لأن كل كاتب يحمل فكرة معينة عن نوعية القراء الذين يتوجه إليهم بكتابه.²⁹

- **الوظيفة التنبيهية:** ويسعى الكاتب من خلال هذه الوظيفة إلى التنبيه لعدة عناصر مهمة كميثاق التخيل المرتبط دائما بمقدمات الأعمال التخيلية ؛ كأن يشدد الكاتب على أن شخصيات النص وأحداثه ليست واقعية بل هي من وحي الخيال وأن كل تشابه بينها و بين شخصيات وأحداث واقعية لا يعدو أن يكون من وحي الصدفة... إلخ.³⁰

كما يمكن أن ينبهنا الكاتب إلى السياق النصي والتألفي الذي يندرج في إطاره العمل: كأن يشير إلى أن عمله في جوهره هو جزء من مجموعة أعمال متسلسلة، لذلك فهو يجد من الضروري تنبيه القارئ لهذا الوضع، ذلك أن هذه الوظيفة تساعد القارئ على تلقي العمل في صيغته الحقيقية الكاملة.³¹

5. خاتمة:

يمكن القول من خلال هذه الوظائف السابقة إن المقدمة تسعى إلى توجيه القراءة وتنظيمها، كما تهيب القارئ لاستقبال متن الكتاب؛ وبذلك فبقدر ما تصير قراءة المقدمة ضرورة لا مناص منها للدخول في فضاء المؤلف بقدر ما تقتلص حرية القارئ في إمكانية تجاوزها إلى النص مباشرة،³² فلا ينبغي لأحد أن يتجاوز قراءة المقدمة حيث يرى جيرار جنيت (Gérard Genette) أن هذه حرية لا يرحب بها المؤلف دون أن يعني ذلك أن قراءتها قد تغني عن قراءة المتن بل إن قراءة المتن تصير مشروطة بقراءة المقدمة.³³

وهذا ما يستدعي التعامل مع نصوص المقدمات تعاملًا خاصًا وصولاً إلى كشف ما تختزنه من قضايا عديدة.

5- الهوامش:

¹-Gérard Genette , op.cit , p (174)

²- نقلا:عن السعدية الشاذلي، ، مقاربة الخطاب المقدماتي الروائي (مقدمة حديث عيسى بن هشام ، وإنشاء الرواية

العربية)، سلسلة الأطروحات والرسائل ، الدار البيضاء، المغرب ، دط ، دت ، ص(48).

³- ينظر : السعدية الشاذلي ، مقاربة الخطاب المقدماتي الروائي ، ص (48)

⁴- حميد حميداني ، عتبات النص الأدبي ، مجلة علامات ، ج 46 ، مجلد 12، ديسمبر 2002 ، ص(41-42).

- باحث مغربي .*

⁵- شعيب حليفي ، هوية العلامات (في العتبات و بناء التأويل) ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 01 ، 2005م، ص (49).

⁶- عبد النبي ذاكر، عتبات الكتابة (مقارنة لميثاق المحكي العربي) ، دار وليلي ، أكادير ، المغرب ط 1 ، 1998 م ،

ص (77).

⁷ - السعدية الشاذلي، المرجع السابق، ص (28).

⁸ Gérard Genette, seuils, p(166) .

⁹ - يوسف الإدريسي ، عتبات النص (بحث في التراث العربي والخطاب النقد المعاصر) ، مقاربات ، المغرب ، ط 1 ، 2008 ، ص (57) .

¹⁰ Gérard Genette , seuils , p (174-175) .

¹¹ - ينظر: بلال عبد الرزاق ، ، مدخل إلى عتبات النص (دراسة في مقدمات النقد العربي القديم) ، إفريقيا الشرق ، المغرب دط ، 2000 ، ص (38-39) .

¹² - ينظر: شعيب حليفي ، هوية العلامات (في العتبات و بناء التأويل) ، ص (53) .

¹² Gérard Genette, seuils, p(181) .

¹⁴ - ينظر: شعيب حليفي ، هوية العلامات (في العتبات و بناء التأويل) ص (61-62-63) .

¹⁵ - ينظر: نبيل منصر ، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، م ، ص(67) .

¹⁶ - نبيل منصر ، نفسه ، ص (66) .

¹⁷ - ينظر: شعيب حليفي ، هوية العلامات (في العتبات و بناء التأويل) ، ص (66) .

¹⁸ - ينظر: بلال عبد الرزاق ، مدخل إلى عتبات النص ، ص (47) .

¹⁹ - ينظر: السعدية الشاذلي، مقاربة الخطاب المقدماتي الروائي ، ص (129) .

²⁰ - ينظر: محمد خرماش ، استراتيجية التقديم (قراءة في خطاب المقدمات) ، السميائيات، مجلة العدد 03 ، السنة الثالثة ، مجلة تصدر عن مختبر السميائيات وتحليل الخطابات ، منشورات دار الأديب ، وهران ، الجزائر، 2008 م ، ص (148) .

²¹ - يوسف الإدريسي ، المرجع السابق ، ص (62) .

²² - شعيب حليفي ، هوية العلامات (في العتبات و بناء التأويل) ، ص (48) .

²³ - ينظر: محمد خرماش ، استراتيجية التقديم (قراءة في خطاب المقدمات) ، ص (154) .

²⁴ - ينظر: السعدية الشاذلي، المرجع السابق، ص (49) .

- باحث مغربي . *

²⁵ - محمد خرماش ، المرجع السابق ، ص (150) .

²⁶ يوسف الإدريسي ، عتبات النص ، ص (62) .

²⁷ - ينظر: نبيل منصر ، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ، ص (73) .

²⁸ - ينظر: السعدية الشاذلي، المرجع السابق، ص (30).

²⁹ - يوسف الإدريسي ، عتبات النص ، ص (62) .

³⁰ - يوسف الإدريسي ، المرجع السابق ، ص (62) .

³¹ - نبيل منصر ، المرجع السابق ، ص (73) .

³² - بلال عبد الرزاق ، المرجع السابق ، ص (52-53).

³³ Gérard **Génette** , op.cit , p(10) .